شباط 2018

# داعش بعد العراق وسوريا

## المآلات والخيارات

المركز الإستشاري للدراسات والتوثيق

## أوراق بحثية:

# داعش بعد العراق وسوريا

## المآلات والخيارات

د. محمد محمود مرتضى[1]

[1] دكتوراه في الفلسفة ومتخصص في الجماعات الإسلامية .

## قائمة المحتويات


المقدمة..... 3

أولاً: إعلان الخلافة وأهدافها..... 3

ثانياً: لا خلافة من دون أرض..... 6

ثالثاً: ما بين التمكين والنكاية ..... 7

رابعاً: استراتيجية الذراعين أم الأذرع المتعددة..... 7

خامساً: الساحات الجديدة المتوقعة..... 9

الخاتمة ..... 12

## المقدمة

ما بين عام 2014 تاريخ سيطرة تنظيم داعش على أجزاء واسعة من العراق وسوريا وإعلان الخلافة، وعام 2017 التاريخ المفترض لإنتهاء سيطرة التنظيم على معظم الأراضي التي سيطر عليها بما فيها الموصل والرقة، ثلاث سنوات تغيرت فيها الجغرافيا السياسية في المنطقة. قوات أميركية في العراق وسوريا، دخول تركي محدود جداً في العراق وتوغل أكبر في سوريا، قواعد عسكرية روسيا في سوريا مع مشاركة عسكرية فعالة، تواجد إيراني عسكري مباشر محدود، مع دعم كبير في العديد والعتاد لتنظيمات حليفة للحكومة السورية.

صحيح إن الحرب في سوريا تتعدد جبهاتها ومحاورها، إلا إن المعركة الأكثر استقطابا للأضواء هي المعركة مع تنظيم داعش لا سيما مع انطلاق معركة الموصل أولاً ثم الرقة ثانياً لما فيهما من دلالات تتعلق بمصير هذا التنظيم، خاصة وإن هاتين المدينتين تمثلان العصب الرئيس "لخلافته".

تسعى هذه الورقة للإجابة عن السؤال التالي: ما هو مصير "داعش" بعد استرجاع الموصل والرقة ومن ثم إنهاء سيطرته على الميدان؟

## أولاً: إعلان الخلافة وأهدافها

في السادس من حزيران عام 2014 إنطلق تنظيم داعش من الأراضي السورية إلى العراق في عملية عسكرية تعتبر الأكبر في التاريخ لتنظيم عسكري. ولم يكد ينتهي العاشر من نفس الشهر حتى كان داعش قد سيطر على أجزاء واسعة من العراق، فاتحاً الحدود بين سوريا والعراق في معركة اسماها كسر الحدود، وفي صورة أرادها أن تكون رمزية لانتهاء سايكس- بيكو [2]. وفي التاسع والعشرين من الشهر نفسه وجه الناطق بإسم التنظيم أبو محمد العدناني كلمة صوتية أعلن فيها إنهاء العمل بما يسمى بتنظيم "الدولة الاسلامية في العراق والشام" واستبدالها بتمسية "الدولة الاسلامية" معتبرها اياها تمثل ما يصطلح عليه في الأدبيات الإسلامية "الخلافة على منهاج النبوة" كاشفاً قيام ما يسمى "بأهل الحل والعقد" ومجلس الشورى بتنصيب ومبايعة "إبراهيم عواد إبراهيم علي البدري السامرائي" (أبو بكر البغدادي) "خليفة للمسلمين" ودعا أنصار "الدولة الاسلامية" "للهجرة" إليها طلباً للجهاد وتثبيتاً لإركان "الخلافة" [3]. ولم ينقض أسبوع على هذا الإعلان حتى أطل البغدادي نفسه في الرابع من شهر تموز/يوليو من جامع النوري في الموصل ليصلي صلاة الجمعة في إطلالة متلفزة هي الأولى والأخيرة له (حتى هذه اللحظة) [4].

مما لاشك فيه إن قيام التنظيم بإعلان الخلافة شكل نقطة محورية، وقفزة كبيرة في تاريخ الجماعات "الجهادية" منذ نشوء حراكها المعاصر بعد إخراج جيش الاتحاد السوفياتي من أفغانستان وبروز حركة طالبان

2 - راجع: http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2014/06/140610_iraq_mosul_hq

3 - راجع: http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2014/06/140629_iraq_isis_caliphate

4 - راجع: https://www.youtube.com/watch?v=PVS0ySkI-rQ

ومن ثم تنظيم القاعدة، لا سيما وإن جميع حركات الإسلام السياسي[5] (السني تحديداً) تضع نصب أعينها هدفاً مركزياً يتمثل في السعي لإعادة إحياء "الخلافة الإسلامية" وإقامتها استناداً إلى حديث مأثور في ادبياتهم عن النبي محمد (ص) يقول: "تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة" [6].

على إن أهمية الإعلان عن قيام الخلافة يعزد بشكل أساس لما ستمثله من نقطة استقطاب للجماعات "الجهادية" باتجاه التنظيم في إطار صراعه مع "تنظيم القاعدة" الذي بدأت معالمه مع أبو مصعب الزرقاوي ولم يتوقف بعد وصول البغدادي لامارة داعش واستلام الايمن الظواهري شؤون تنظيم القاعدة بعد اغتيال بن لادن عام 2011.

فقد كان من الواضح حجم التنافس الحاد، والذي وصل لاحقاً لحد الاقتتال والتكفير بين التنظيمين، في عملية صراع واضحة المعالم على استقطاب "الجهاديين"، ومن يمثل خط "السلفية الجهادية العالمية" ويحتكره.

لقد كان وقع قيام إعلان تنظيم داعش للخلافة بمثابة السحر الذي أخذ بقلوب الكثيرين من أنصار تيار "السلفية الجهادية"؛ بحيث شكل عنصر جذب من كل أنحاء العالم ففاق عدد "المهاجرين" إلى "دولة الخلافة"، حتى أواخر عام 2015 ما يقارب العشرين الفاً من الدول العربية والغربية [7].

أدرك تنظيم القاعدة والجماعات المرتبطة به ان خطوة اعلان الخلافة ستكون عنصر جذب كبير لداعش، لذلك سارع منظرو التنظيم لاطلاق لاصدار عدد من الابحاث والبيانات والدروس حول عدم "شرعية" هذا الاعلان وبطلانه، تارة تحت عنوان "مجهولية" "أهل الحل والعقد" الذي زعم التنظيم أنهم بايعوا البغدادي، وتارة أخرى بعنوان اشتراط "التمكين" لاعلان "الخلافة" وهذا ما ليس متيسرا بعد [8].

ومهما يكن من أمر، فإن إعلان الخلافة لم يأت من خارج إطار التنظير الفكري و"التخطيط الاستراتيجي" للتنظيم، حيث لا بد من إعلان الخلافة الإسلامية ولو في بقعة محدودة تكون بمثابة النواة للوصول إلى "الخلافة الإسلامية الكبرى"، لكنها لا يمكن أن تنطلق من أي بقعة كانت من دون أن تتمتع بمواصفات خاصة. انطلق هذا

---

5 - يشمل ذلك جماعة الاخوان المسلمين وان بخطاب اقل ظهورا، وحزب التحرير بخطاب واضح وصريح.

6 - ابن حنبل، احمد بن محمد، مسند احمد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001، ج30، ص355 (مسند الكوفيين حديث رقم 18406).

7 - مرتضى، محمد محمود، صناعة التوحش، بيروت، دار الولاء، ط1، 2016، ص 345.

8- حول رأي تنظيم القاعدة واشتراط التمكين راجع: الخطاب، أنس، وقفات تأصيلية حول إعلان الخلافة، ص 127. البحث نشرته نخبة الفكر عام 2014 ومتوفر على مواقع عديدة على الانترنت منها http://www.saaid.net/book/open.php?cat=88&book=13053

وحول رأي داعش بعدم اشتراط التمكين يمكن مراجعة: بنعلي، تركي، القيافة في عدم اشتراط التمكين الكامل للخلافة، 2014، ص 5-7. وكذلك راجع: أبو معاذ الشرعي إعلانُ النَّكير على نافخ الكير في دعوى بطلانِ بيعةِ الأمير، صادر عن مركز عائشة للإعلام، ص22، (شبهة التمكين والشوكة)، https://thabat111.wordpress.com/2014/03/03.

التنظير "لنواة الخلافة الإسلامية" في العام 2011 مع "المذكرة الاستراتيجية" التي دونها "عبد الله بن محمد" تأسيساً على تراث قديم وكتابات سابقة.

لقد حدد الكاتب المواصفات التي ينبغي توافرها في هذه "النواة": كأن تكون حيوية، وتحظى بعامل جذب للشارع الإسلامي، وطبيعة جغرافية تساعد على العمل العسكري الدفاعي، وحيازتها ثروات وموارد طبيعية مائية وغذائية. ويستحضر الكاتب التجربة الصهيونية في اختيار فلسطين ليشير إلى ضرورة أن تكون "نواة" الخلافة قريبة من مناطق التأثير الديني.

قد لا يبدو "داعش" ملتزم حرفيا بما ورد في هذه "المذكرة الاستراتيجية"، إلا انه بلا شك يعرف تماما ان "خلافته" ليست مكتملة العناصر، وربما يعرف ايضا انها خطوة متسرعة، إلا ان ثمة عوامل دفعته لاتخاذ هذه الخطوة.

أهم هذه العوامل هي عوامل داخلية كما ذكرنا، لها علاقة بالحركات "الجهادية" والصراع المحتدم بينها على خلفية ما يجري في سوريا في مواجهة "جبهة النصرة"، حيث وجد "داعش" نفسه في مقابل معظم قيادات "القاعدة"، ابتداء من الظواهري نفسه، مروراً بالموقف الذي أطلقه ابو محمد المقدسي[9]، أي قبل إطلاق سراحه من السجون الاردنية[10] على خلفية الوساطة التي دخل بها المقدسي بين التنظيمين المتصارعين، وأفضت إلى تحميل المقدسي "داعش" مسؤولية فشل الوساطة والحكم عليه بأنه تنظيم "منحرف" وينحو إلى الغلو، وصولاً إلى البيان الذي أصدره تزامناً مع إعلان داعش "للخلافة"، حيث أبرز عمق الشرخ وحدّة الخطاب بين هذه الجماعات. ويكفي أن ننظر إلى ما قاله المقدسي نفسه لندرك ما آلت اليه الأوضاع بينهم:

"... **كما طالعت في ما طالعته بعد خروجي من السجن إساءات وسفالات لا يستحق أصحابها وصف المجاهدين ولا وصف الشرعيين ولو وصفوا بالشوارعيين بدلاً من الشرعيين لكان أقرب؛ فمن اتهام للمخالفين باللقطاء وأبناء العواهر ونحوه من الفحش ووضيع القول.. إلى غير ذلك من الكذب والبهتان والافتراء على المخالف بما لا يليق بمن تصدر للتوقيع عن الله والفتوى في دين الله**..."[11].

وبحسب الأدبيات الفقهية للتنظيم، فإن لزام إعلان "الخلافة الإسلامية" وتنصيب البغدادي "خليفة" يحتم على جميع التنظيمات المسارعة للمبايعة، بمن فيهم الظواهري نفسه. من هنا فإن إعلان "الخلافة" هو إعلان وراثة "داعش" لتنظيم "القاعدة". وقد أظهر المقدسي هذه المخاوف حيال سائر الجماعات بعد إعلان "الخلافة"، لذلك سارع للتساؤل عن مصير "الجماعات المسلمة المقاتلة المبايع لها من أفرادها في العراق

9 - عبارة عن بيان أصدره أبو محمد المقدسي بعد فشل وساطته بين داعش وجبهة النصرة في سوريا وقد حمل البيان اسم في بيان حال "الدولة الإسلامية في العراق والشام والموقف الواجب تجاهها" في منتصف شهر رجب 1435 هجرية الموافق 14 أيار /مايو 2014 م. راجع :
http://tawhed.ws/r?i=26051401

10 - اطلق سراحه في 16 حزيران/يونيو (2014).

11 - بيان لأبي محمد المقدسي بعنوان "هذا بعض ما عندي وليس كله" أصدره بتاريخ 1 رمضان 1435 هجري الموافق 28 حزيران/يونيو (2014). راجع :
http://tawhed.ws/r?i=01071401

والشـام وفي كل بقاع الأرض، وما هو مصـير دمائهم عند من تسـمى بمسـمى الخلافة اليوم، ولم يكف بعد عن توعد مخالفيه من المسلمين بفلق هاماتهم بالرصاص"[12].

## ثانياً: لا خلافة من دون أرض

رغم إن داعش في محاججاته مع تنظيم القاعدة دافع عن عدم اشـترط التمكين[13] إلا أنه كان يقصد عدم شـرطيته بشـكل مطلق لا نفيه من أسـاسـه. بمعنى آخر إن لا شـرط بالتمكين الكامل على كل بلاد المسـلمين إنما يكفي التمكين في بعضـها مسـتدلين بإن سـيطرة وسـلطة دولة النبي (ص) لم تكن كاملة وإنما كانت تنحصـر في المدينة المنورة. وهذا ما أشـار إليه بعض منظري داعش. فقد قال تركي بنعلي: "ولا شـك أن الخلافة تحتاج إلى شـيء من القوة والشـوكة والتمكين، وهذا حاصـل في الدولة الإسـلامية بشـهادة العدو قبل الصـديق". وبعد أن ذكر كلام القرطبي والطبري والسدي والجويني مما يؤكد على التمكين، اعقبه بالقول: "ولكني أحسب أن التمكين الكامل على سائر ديار المسلمين ليس شرطَ صحة للخلافة بقدر ما هو شرط كمال. فإن المراد تحقق التمكين وإن كان جزئياً على بعض ديار المسلمين دون بعضها الآخر"[14].

وكذلك ذهب "الشـيخ أبو معاذ الشـرعي" في بحثه المسـمى "إعلانُ النَّكير على نافخِ الكير في دعوى بطلانِ بيعةِ الأمير"، والذي كتبه للرد على الشـيخ "المحيسـني" مفتي جيش الفتح، خلص فيه إلى نفي اشـتراط التمكين قائلاً: "فأنت ترى أن حديث جابر وحديث عبادة إبن الصامت كلاهما ورد فيه البيعة على السـمع والطاعة في المنشـط والمكره وهذا هو الذي تنعقد به الإمامة وتلزم به المتابعة، وأن البيعة الواردة فيهما كانت في ليلة العقبة، وأن الصحابة كانوا في حالة ضعف وعدم تمكين؛ حتى أنهم كانوا يخفون هذا الاجتماع الذي عقدت فيه البيعة...

وإنما حصـل التمكين بعد مجيء النبي-صـلى الله عليه وسـلم- إلى المدينة. كما قال إبن هشـام في سـيرته: "قال إبن إسحاق: فلما اطمأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالمدينة، واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين، واجتمع أمر الأنصار، استحكم أمر الإسلام، فقامت الصلاة، وفرضت الزكاة والصيام، وقامت الحدود، وفرض الحلال والحرام، وتبوأ الإسلام بين أظهرهم" "سيرة إبن هشام". فهل يسوغ بعد هذا أن يقول قائل: (لا عبرة بالبيعة في حال عدم التمكين)..[15].

---

12 - المصدر نفسه. وراجع حول ما تقدم: مرتضى، محمد محمود، صناعة التوحش، مصدر سابق، ص390-392.

13 - مناط التمكين القدرة وليس القوة، فتنبه لهذا الفارق، إذ أن مجرد القوة لا تعد تمكيناً إلا إذا اقترنت بالقدرة على تحقيق مقاصد الإمامة، والقدرة بهذا المعنى هي ما يسميه الفقهاء بالتمكين، وهي مناط وجوب الخلافة وصحتها، أما مجرد القوة بلا قدرة على تحقيق المقاصد فليست بتمكين، وليست بمناط لوجوب الخلافة ولا شرطاً لصحتها.

14- بنعلي، تركي، القيافة في عدم اشتراط التمكين الكامل للخلافة، 2014، ص 5-7.

15- أو معاذ الشرعي، إعلانُ النَّكير على نافخِ الكير في دعوى بطلانِ بيعةِ الأمير، صادر عن مركز عائشة للإعلام، ص22، (شبهة التمكين والشوكة).
https://thabat111.wordpress.com/2014/03/03/

ويظهر من هذا الكلام انه حتى من نفى اشـتراط التمكين، فإنه لم ينفه مطلقاً بل اعترف باشـتراط تحققه ولو جزئياً، كما مر في كلام بنعلي. من هنا ينطلق السـؤال الأهم: إذا خسـرت داعش العراق وسـوريا، وفقدت سيطرتها على الأرض فماذا سيحل بخلافتها؟!. لا شك إنه وفق ما تقدم من كلام منظري داعش، فإن الخلافة ستسقط، وتفقد عناصر وجودها وشروط تحققها؛ لأنه لا خلافة من دون تمكين ولو جزئي، ولا تمكين من دون أرض.

## ثالثاً: ما بين التمكين والنكاية

انطلاقاً مما سـبق، فإن الأرجح إن داعش سـيعمل على خطين: الخط الأول: أن يركز جهده في المراحل المقبلة على العمل على ديمومة تحقق شرط الخلافة، وأعني به "التمكين الجزئي"، وذلك يستلزم السعي للسيطرة على أرض "معتبرة" تحقق له هذا الشرط قبل أن تسقط "شرعية" "خلافته" حتى وفق آراء منظريه الشرعيين. أما الخط الثاني فيبدو أن التنظيم، سيعود لمرحلة قتال "النكاية"[16]، وهي المرحلة التي تسبق مرحلة التمكين، وهو ما يمارسـه اليوم فعلياً خارج مناطق سـيطرته من عمليات انتحارية واغارات وتفجيرات وما شـاكل. وهذا يستلزم، وفق فهم العقل المحرك لداعش، أن يعمد التنظيم إلى التفريق بين عناصره وفق الانتماء الجغرافي. بمعنى الاحتفاظ بالعناصر العراقية والسورية في العراق وسوريا كعناصر محلية باستثناء بعض القيادات التي تجد صـعوبة في البقاء مع خطورة الاعتقال ومصـاعب الاختباء، فيما العناصـر الاجنبية "المهاجرين" تعود إلى بلادها لتوظيفها هناك. والأرجح إن هذه الاسـتراتيجية الجديدة سـيعممها على كافة "ولايات" "دولته"، والابتعاد عن تجميع العناصر في بؤر نارية تجعلهم في أتون محرقة عسكرية، لا سيما وإنه لم يعد يسيطر على بقعة جغرافية كبيرة جداً، كما كان عليه الوضـع في سـوريا والعراق، والذي كان يسـتلزم منه عديداً كبيراً يحتاجه للإمساك بالأرض. وبالتالي فإن الأغلب سيعملون في مناطق انتمائهم الأصلية. وهذا سيعني عودة التركيز على تعزيز الشـبكات الامنية من اجل توجيه ضـربات موجعة تربك السـاحات المسـتهدفة، كما أنه سـيعزز من استهداف الأماكن العبادية التي يعتبرها "مخالفة". كما سيعود لأوائل عمله في العراق؛ حيث ينشر الفوضى ويسعى لتعميق الشرخ الطائفي، عبر استهداف فئات "سنية"، وليس الاقتصار على "المخالف" وحسب.

## رابعاً: استراتيجية الذراعين أم الأذرع المتعددة

هذا الانتشار والتوزيع الجديد "للجهد العسكري"، كان قد بدأ به التنظيم منذ مدة ليست بالقصيرة، والتي كنت قد اطلقت عليها اسم "استراتيجية الأذرع المتعددة". فما هي هذه الاستراتيجية؟

16 - القتال الذي يكون الهدف منه التنكيل، ولا تتعدى ثمراته النكاية في الأعداء وإغاظتهم والنيل منهم وإرهابهم، أو كف أذاهم عن بعض المسلمين أو استنقاذ بعض المستضعفين أو فك الأسارى، فهو حتى وإن لم يؤدي عاجلاً إلى تمكين للمسلمين، يسمى قتال النكاية. راجع: مرتضى، صناعة التوحش، مصدر سابق، ص 43.

في العام 2011، كتب عبدالله بن محمد، كتاب "المذكرة الاستراتيجية"، أكد فيه أنه يهدف لإعادة إنشاء وإحياء مشروع "الخلافة الاسلامية". وقد كان من شروط هذه الاستراتيجية ما أطلق عليه اسم "نظرية الذراعين". والتي يبدو إن بعض الجماعات، لا سيما تنظيم "القاعدة" كانت تعمل بها.

وفق "نظرية الذراعين"، حدد الكاتب الشام واليمن لتكونا نقطتي إنطلاق لإعادة إحياء "الخلافة الإسلامية"، بسبب توفرهما على مزايا تجعلهما يقعان "ضمن المجال الحيوي لقلب العالم الإسلامي"، يستطيع "الجهاديون" من خلالهما "تحريك عموم المسلمين، وهما تضمان تضاريس لا بأس بها من الموانع الطبيعية.. ووفرة في الماء والغذاء تجعلهما في دائرة حصينة من الأمن الغذائي"[17].

فاليمن يقع بالقرب من مناطق التأثير الديني، أما القدس فضمن منطقة الشام التي تضم سوريا ولبنان والأردن وفلسطين، إضافة إلى سيناء، من دون أن ننسى العراق الذي يمثل امتداداً لبلاد الشام جغرافياً.

تقتضي "نظرية الذراعين" إذاً، أن يتم التحرك في منطقتي ارتكاز بشكل متوازٍ، هما الشام واليمن. والهدف إن تغطي كل واحدة منهما الأخرى، وتمنع تركيز أي مجهود عسكري يستهدف جبهة وحدها، فتشكل كل جبهة عامل إلهاء وضغط لمصلحة الجبهة الأخرى.

في المقابل كان "داعش" يرى إن العراق يمثل أرضية أكثر ملاءمة لإنطلاق مشروعه، لا سيما مع الرفد الكبير الذي حظي به من عناصر وضباط سابقين في الجيش العراقي، فإنطلق من العراق في حروب النكاية أولاً ثم من الشام ليتمدد بعدها من الشام نحو العراق وإعلان الخلافة. وقد استطاع "داعش" عبر هذا التمدد الحصول على ثروات رفدته بالمال، ما مكنه من الانطلاق إلى مناطق جديدة.

غير أن التنظيم رأى في الطبيعة الجغرافية والتركيبة السياسية والاجتماعية للبلدان العربية عائقاً أمام الانطلاق من العراق والشام نحو بلدان أخرى. وقد صعّب من مهمته عدم حصول انهيار كامل في صفوف الجيشين العراقي والسوري، ما دفعه، على ما يبدو، من دون التخلي عن العراق والشام كمركز «لخلافته»، إلى تأسيس استراتيجية «الأذرع المتعددة».

وتقتضي استراتيجية "الأذرع المتعددة" الاعتماد على نقاط إرتكاز يتم الانطلاق منها لتكون محوراً للحراك في سائر دول النطاق. بهذا المعنى، تكون "ولاية خراسان" مركز انطلاق لعمل "الذراع الخراسانية" في كل من باكستان وأفغانستان ولاحقاً إيران، فيما تظهر داغستان والشيشان كرافد بشري لجوارها.

أما ليبيا، التي كانت مركز تجمع وتدريب وإنطلاق في المراحل السابقة، لدعم نشاط المركز في العراق والشام، فقد تحولت إلى إحدى الأذرع الأساسية في استراتيجية التنظيم، بعد التطورات الدراماتيكية التي شهدتها الساحة هناك. فقد رأى التنظيم في ليبيا ساحة مؤاتية تشبه الساحة العراقية عند إنطلاق عمله في بلاد الرافدين، فأخذ يتوسع فيها لتحقيق هدفين: الأول ان تكون نقطة إرتكاز لذراع "الخلافة" في شمال أفريقيا أو

17- بن محمد، عبد الله، المذكرة الاستراتيجية، مؤسسة المأسدة الإسلامية، ص 22. ( نسخة الكترونية)

المغرب الإسـلامي من جهة، والثاني أن تكون عنصـر إلهاء وتشـتيت لقوى التحالف الدولي، عبر توسـيع بقعة عمله الجغرافي، ما يخفف الضغط عن العراق والشام.

في الهدف الأول، تمثل ليبيا صلة الوصل بين كل من مصر وتونس والجزائر والنيجر (حيث تنشط جماعة "بوكو حرام")، وتمثل حدود ليبيا مع النيجر والجزائر المثلث الذي يفصـل التنظيم عن مالي. كل ذلك يجعل منها ذراعاً فعالة، ونقطة إرتكاز نحو القارة الأفريقية، من دون إغفال الاهتمام المتزايد لـ"داعش" بالسـاحة المصـرية ومحاولات الاسـتقطاب الحثيثة التي يعمل عليها. من هنا يمكن فهم واحد من أبعاد قيام "داعش" بإعدام العمال المصريين واختياره أن يكونوا من الأقباط، حيث إن محاولات التنظيم للتوسع إلى الداخل المصري، أقدر على النجاح في ظل تراجع القبضـة الأمنية ونشـوب فتنة داخلية طرفاها المفضـلان بالنسـبة إليه هما الأقباط من جهة، وحركات تكفيرية سلفية من جهة اخرى.

يعمل "داعش" بهذه الأذرع: الذراع العراقية - الشامية لبلاد الشام، والذراع الليبية للمغرب الإسلامي وأفريقيا، والذراع الخراسـانية لأفغانسـتان وباكسـتان وايران، وذراع في شـرق آسـيا سـواء في أندونيسـيا أو الفلبين أو الصـين (الايغور)، إضـافة إلى شـبكات أمنية في أوروبا. يبقى إن التنظيم يجهد لإنشـاء ذراع مخصـصـة لشـبه الجزيرة العربية، وهو ما يحاول القيام به في اليمن، أو التفجيرات التي اسـتهدفت بعض الأماكن في المملكة العربية السعودية( أماكن تواجد الشرطة حصراً)، وقد حاول إيجاد قاعدة له في المناطق العراقية المحاذية للحدود مع المملكة العربية السعودية، لكن هذه المحاولات لم تفلح[18].

## خامساً: الساحات الجديدة المتوقعة

إنطلاقاً من العناصـر المتقدمة فإنه من المرجح إن تنظيم داعش لن يعتمد على زج عناصـره في بقعة جغرافية واحدة ودعوتهم للهجرة إليها، بل سـيعمد إلى توسـيع بقعة الاسـتهدافات بناء على اسـتراتيجية "الأذرع المتعددة" لتكون خارطة التحرك وفق الاحتمالات التالية:

1- العراق وسـوريا: سـيعمد على ترحيل الأجانب وفق الإمكانيات المتاحة، لبلدانهم إن أمكن، أو لبعض الساحات الأخرى التي يمكن أن تكون مأوى لهم في حال تعذر إيصالهم إلى البلد الأم، أو إلى ساحات يعتبر إنها تحتاج إلى بعض الخبرات. وبالتالي سـيركز عمله على العناصـر المحلية مع تصـعيد في العمليات الأمنية كما ذكرنا سـابقاً. علماً أن العودة إلى أسـاليب العمل التي سـبقت إعلان "الخلافة" ليس بالأمر السـهل بإعتبار أن هذا الأعلان أدى إلى الظهور العلني للكثير من العناصـر المحلية التي ركنت إلى سـيطرة التنظيم، ما أدى لإنكشـاف الكثير منهم. يضـاف إلى ذلك إن الاسـتخبارات العراقية باتت تملك مخزوناً كبيراً من المعلومات حول طبيعة التنظيم وعناصره ومسؤوليه. وهذا سيصعب من

18 - راجع مقالتنا بعنوان "الجهاديون واستراتيجية الاذرع المتعددة" والتي نشرت في صحيفة السفير اللبنانية بتاريخ 20 شباط 2015 على الرباط التالي: http://assafir.com/Article/18/403145.

مهمة إخباء التنظيم لعناصـــره وتحركاته. إلا أنه من المتوقع أن يلجأ التنظيم للإحتماء داخل البنى الشـعبية في المناطق ذات الإغلبية "السـنية" من جهة، وداخل البيئة المتعصـبة للعشـائر العراقية. يضـاف إليه أن التوظيف الأميركي لهذه التنظميات لم يُسـتنفذ بالكامل بعد، ما يرفع من إحتمال قيام الولايات المتحدة الأميركية بالضـغط على الحكومة العراقية لإصـدار قرارات توقف ملاحقة المطلوبين بعناوين تتعلق بمحاولة "إدماج" هذه الجماعات داخل المجتمع العراقي، وربما التنظير بتجربة قانون "اجتثاث البعث" الذي كان سـببآ، بحسـب تنظيراتهم المتوقعة، في لجوء مخلفاته إلى التنظيمات المتطرفة.

2- لبنان: سـيسـعى التنظيم لاختراق السـاحة اللبنانية ومحاولة اسـتهداف حزب الله ومناطق شـعبيته معتمداً في ذلك على جعل المخيمات الفلسطينية ومخيمات النازحين وربما بعض الجبال في الشمال أو مناطق الفقر فيها، كمناطق لإخفاء وتمركز عناصـره مع تركيز على بعض الجنسـيات، إضـافة إلى اللبناني، التي تتواجد بكثرة في لبنان. (سـوري، فلسـطيني، مصـري، سـوداني) إضـافة إلى الخليجي بسبب التسهيلات التي يتمع بها لناحية دخوله إلى الأراضي اللبنانية.

3- أفريقيا: وعند الحديث عن أفريقيا فإن نتحدث هنا عن أكثر من محور.

- شـمال أفريقيا مع التوغل نحو الوسـط: وهنا نتحدث عن ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وصـولاً إلى النيجر ونيجيريا ومالي. في هذا المحور ينبغي ألا ننسـى أنّ ليبيا عنصـر مهم في منظومة داعش الأفريقية، فهي تقع على حدود النيجر حيث ينشـط تنظيم بوكو حرام أيضـاً، كما أن حدودها مع الجزائر، ولا سـيما الجنوب الشـرقي منها، سـتشـكّل عنصـراً جاذباً لداعش بسـبب طبيعته الجغرافية، دون أن ننسى أن داعش سيسعى حتماً إلى فتح خطّ عبر الجنوب الجزائري الصحراوي، ليربط بين ليبيا ومالي. وهذا يعني أنّ المثلث (ليبيا النيجر والجزائر) مرشح لأن يكون مثلثاً مشتعلاً ، خاصـــة إذا اســـتطاع داعش أن يثبّت أقدامه في الجنوب الليبي، على الرغم من أنّ الاهتمام الداعشي في الوقت الراهن يتمثّل بالجبهة الساحلية، أي بنغازي، درنة، مصراته، وسرت (المدينة التي من المفترض أنّ إعدام العمال المصـريين قد نفّذت فيها)[19]. إلا أن وقوع هذه المدن على السـاحل وإرتباطها بخطوط الأمداد النفطي، سـيدفع بالدول الداعمة للقوى المناهضـة للتنظيم لتقديم الدعم لها لمواجهته وإقصائه عن الساحل، مما سيؤدي، عاجلاً أم آجلاً، لإقتناع التنظيم إن لا خيار آخر له سـوى التوجه نحو الجنوب، والجنوب الشـرقي، والجنوب الغربي؛ حيث الحدود مع النيجر والجزائر من جهة، ومع مصر والسودان من جهة أخرى. وهو ما سيفتح له المجالات في فتح جبهات جديدة لمحاولة إختراق مصـر والسـودان، وتنشـيط محاور النيجر والجزائر، ربما في مسـعى للتواصـــل الجغرافي مع بوكو حرام. على أن الطبيعة الجغرافية الصـــحراوية لهذه المناطق، قد تشـــكل له عاملاً هاماً من عوامل الاختباء والتمويه لقواعده. إذ من الواضـــح إن داعش ســـيولي

19 - راجع: مرتضى، محمد محمود، مقالة بعنوان: "داعش في ليبيا: العين على مصر وشمال أفريقيا"، 19-2-2015.
https://alahednews.com.lb/107471/4/

أهمية قصـــوى لبوكو حرام، لأن قاعدتها يمكن أن تؤمن له بقعة جغرافية يمكن الإرتكاز إليها في موضـوع إسـتمرار "الخلافة". إذ إنه وبحسـب الظاهر فإن المكان الأكثر ترشـيحاً، بحسـب الأوضاع، ليمثل ركيزة عنصر التمكين المتقدمة هي هذه المنطقة. طبعاً دون تجاهل سعي داعش للوصول إلى مصـر، وإسـتهداف القوى الأمنية فيها، سـواء في سـيناء، او القاهرة أو غيرها، وإن كان من المرجح، بحســب التجارب الســابقة للتنظيم، أن يعمد إلى تركيز عمله، في المراحل المقبلة، في المناطق النائية والريفية؛ لأنها أقل تعرضاً للرقابة الأمنية من جهة، وأقل تحضراً وتعليماً من جهة أخرى، مع وجود بيئة مرتبطة بالدين بشــكل عفوي، وهو ما قد يجعلها فريســة ســهلة للتجييش المذهبي، والتحشـيد الطائفي، والحشـو الفكري. ومع إسـتمرار تعرض الإخوان المسـلمين للقمع في مصر فإن داعش سيعزز محاولاته لإستقطابهم إضافة لمحاولة تعزيز الفوضى عبر إستهداف الأقباط فيها.

- غرب أفريقيا: وهي مناطق يسـعى داعش لتعزيز تواجده فيها لاسـيما إن أرضية خصبة تتعزز فيها لناحية العوامل التي يســتغلها التنظيم في عملية الإختراق، وأعني الفقر وتواجد إســلامي شــعبي. وهنا نتحدث عن مجموعة من الدول وهي: نيجيريا، غانا، ســاحل العاج، ليبيريا، غينيا، السنغال، وصولاً إلى موريتانيا. وكانت صحيفة "لوفيغارو" الفرنسية ذائعة الصيت قد كتبت في ملف خاص حول هذا الموضـع في شـهر آذار الماضـي، حيث ذكرت إن التنظيم يسـعى للحصـول على موطئ قدم في القارة الإفريقية لتصدير "إرهابه"، وقد تحدثت مصادر عسكرية فرنسية أن التنظيم أرسـل 15 مدرّباً عراقياً في العام الماضـي إلى نيجيريا، قام هؤلاء بتدريب عناصـر "بوكو حرام" على تقنيات القتال والتّعامل مع المتفجّرات وتصــنيع أســلحة يدوية بما في ذلك قاذفات الصواريخ [20].
- الشـرق الأفريقي: وهنا يبرز الصـومال وحركة الشـباب الناشـطة فيه كمركز ثقل وإرتكاز لهذه الجبهة للتحرك بإتجاه كينيا وجيبوتي، كما يمكن أن تشــكل الصــومال تهديداً أيضــاً مع الإقتراب من خليج عدن وبالتالي التســلل البحري بإتجاه اليمن. ويبدو أن داعش يســعى منذ مدة لإختراق الصــومال وحركة الشـباب ونجح جزئياً في شـرق الصـومال بكسـب بيعة بعض المجموعات يقودها عبد القادر مؤمن، والتي تتمركز في جبال غالغالا، ثم كسـب مبايعة مجموعة أخرى في أقصـى الجنوب في ولاية جوبا السـفلى[21]. إلا أن انتشـار داعش في الصـومال سـيواجه بشـراسـة من قبل تنظيم القاعدة التي تنتمي حركة الشــباب إليه قبل أن يواجه من قبل الســلطات المحلية. وهنا يظهر إن ليس أمام داعش في الصـومال إلا إسـتهداف قيادات حركة الشـباب الصـومالية مع العمل على تحضير قيادات بديلة، أو إقناع قادات من الصف الأول، لا سيما قيادات ميدانية، بالإنضمام إليه.

20 - راجع: http://www.lefigaro.fr/international/2017/03/16/01003-20170316ARTFIG00266-daech-cherche-a-s-etendre-en-afrique.php

21 - راجع: صديق، محمد خليفة، مسيرة القاعدة وداعش في الصومال.. قراءة في المآلات والنتائج، http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=7685

كما إن داعش سيسعى للدخول إلى شمال الصومال، أي جمهورية أرض الصومال غير المعترف بها دولياً لما تشكله من نقطة "رخوة" في الجغرافية الصومالية من جهة، وأهمية كبيرة نظراً لإقترابها من جيبوتي وجنوب البحر الأحمر. علماً إن داعش غالباً ما يناور ويلعب على الأوتار والنواحي القبلية وهو أمر متوفر في الساحات الإفريقية المتنوعة.

4- شرق آسيا: ونقصد بها الفلبين وأندونيسيا والصين وسيعتمد فيها على العناصر المحلية نظراً لعدم جاذبية المنطقة "للهجرة" لإبتعادها عن مركز الثقل الديني. إلا أن المناورة فيها يمكن أن تخدم "الموظِف" الأميركي، خاصة لإشغال الصين.

5- آسيا الوسطى وجنوب شرقها: وهنا نتحدث عن باكستان وأفغانستان وكازخستان وإيران وسيكون عمدتها ما يعرف بولاية خراسان. مع التركيز على إستهداف إيران لما يمثله هذا الإستهداف من عنصر جذب وإستقطاب لدى هذه الجماعات. ويبدو أن التنظيم سيعزز سيطرته في جلال آباد شرق أفغانستان المقابلة لبيشاور في باكستان نظراً لأهميتها وقربها من الحدود الباكستانية. وتمثل هذه الأهمية إن الجغرافية الباكستانية المقابلة لجلال آباد هي الجغرافية الأقل عرضاً في باكستان وبالتالي هي المسافة الأقصر التي تربط بين جلال آباد والشرق الصيني حيث إقليم شينجيانغ ذات الأغلبية المسلمة حيث تتواجد العرقية الايغورية.

6- أوروبا: سيسعى داعش لتصعيد عملياته الأمنية فيها سواء عبر الشبكات العنقودية، أو عبر استراتيجيات "الذئاب المنفردة" معتمداً على بعض العناصر التي اكتسبت خبرات قتالية في الخارج، أو عبر العناصر غير المرصودة والتي يعمل على تجنيدها عبر شبكات الانترنت أو عبر بعض المراكز الدينية.

## الخاتمة

بالمحصلة، فإن داعش، كما نرى، لن يسعى للهجرة الجماعية إلى جغرافيا محددة كما حصل في العراق وسوريا بعد إعلان "الخلافة"، بل سيعزز من استراتيجية "الأذرع المتعددة"، معتمداً على العناصر المحلية في كل منطقة، والتحول إلى العمل الأمني والعودة إلى "النكاية"، مع السعي للحصول على موطئ قدم جديد في الجغرافيا يكون قريباً من مركز الثقل الديني، كي يحافظ، من الناحية الدينية الشرعية، على "شرعية" إعلان الخلافة، والتي كما ذكرنا، إنهم قد سلموا بضرورة تحقق نوع من "التمكين" ولو جزئياً.